إن لم يكن المسيح قد قام

« ان لم يكن المسيح قد قام » (اكو 15: 14)

« ولكن الآن قد قام المسيح » (اكو 20:15)

للدكتور روبرت ج. لى

(1978 – 1886)

آن شبهنا الكتاب برقعة الجلد الواسعة وكانت كل «أن» فيه نجمة متألقة فما أكبر المجموعة التي نراها! ففي كل مكان هناك «ان» كطيور الغابة ، وزهور الحديقة ، ونجوم السماء الصافية ، والزجاج الملون في نوافذ البيت ، وألاتلام في الحقل :« ان كان لكم ايمان » ، « أن شرب احد »، « إن فعلتم و صاياه »،« أن كان أحد بيحبني » ، « ان سألتم شيئا »، « أن سمع احد صوتي»، «ان مضيت » ، ان اعترفنا بخطايانا »، « ان كان العالم يبغضكم » ، « أن كنت أنت هو ... وهكذا. فما أجمل الطريق الملكي الذي تفتحه لنا كلمة «ان» هذه ، وما ابدع أبواب القصر الذي تدخلنا فيه ، وما أثمن الكنوز التي تقام ها لنا صناديقها ! يا لها من أنوار وضاءة وظلال قاتمة ! ويا لها من حلاوة سائغة ومرارة مؤلمة ! وكم من نغمات موسيقية شجية ، او أنات موجعة ! وأي أفراح تبعث ، وأتراح تعبث ! وما أعظم نياجرا المجد تكشف ، ومغاور الظلمة تبطن ! وكم من أوقيانوسات تعبر ، وكم من قارات ترتاد ! وكم من تأكيدات تجلب ، وكم من افتراضات حالكة تجر! اجل ، أن اخطر «ان» واشدها رعبا هي الواردة في آيتنا ان لم

يكن المسيح قد قام ». هيا سر معي في هذا الطريق الأشعث الملآن بالحفر والأحجار ، والطريق الذي خيم عليه الليل الدامس حيث الرعب والفرع والمخاوف والأخطار والأحزان . «ان لم يكن المسيح قد قام» .

(1) فباطلة كرازتنا:

باطل هو تبشيرنا ، بل فارغ وخلو من الحقيقة. ما أرهبه من تصريح ! ان كان المسيح ما زال في القبر فكل تبشيرنا يصير مهزلة ، بل تبشير وكرازة كل القرون يصير كقحط لا يعقبه مطر ، بل الكرازة من أيام نوح الى هذه الساعة كمجاعة ممتدة في كل هذه الأجيال الطويلة ، أو كلَيلٍ داج لا يتمخض عن صبح مشرق. وتصبح الكرازة تخمينات فلسفية تهيم على وجهها فترجع الينا مدعية أنها ذهبت إلى السماء فلم تجد ذهبا ، وإلى جهنم فلم تجد نارا ، وإلى الصليب فلم تجد ذبيحة عن الخطية ، والى المسيح فتخبرنا أنه لا أنه هناك، والى منحدرات الزيتون فلا ذكريات طيبات عن الوداع ، ولا حق في وعد رجوعه ثانية ، والى المستقبل فلا تلاق ، والى الحزن ولا عزاء هناك ، والى العناية فاذ هي أضغاث أحلام، والى الصلاة فاذ هي ممارسات غير مجدية ، والى الخطية فلا غفران ، والى الفراق فاذ هو انقطاع الى أبد الآبدين. « ان لم يكن المسيح قد قام » فكل كرازتنا تصبح (كأكزيما) مشوهة امتدت من المنبر الى المقعد على وجه عالم ينتجب بكاء. وان لم يكن المسيح قد قام فكل كرازتنا تمسي كمصباح احترقت ذبالته وانطفأ نوره . وان كان المسيح لا يزال في أربطة الكفن فكل كرازاتنا ثلج وجليد بدلا من أمجاد الربيع ، وبهاء الصيف ، وأثمار الخريف ، بل تغدو رسالة الأنبياء والشعراء والمرتلين قصيدة مفككة مملة كرقص الزنوج في الغابات ، فلا يكون بلسان في رسالتنا للأرواح الممزقة ولا رجاء للقلوب المتوجعة!

ابدأ من الآن صوب القرون الخوالي والأزمان السالفة . كل كرازة (تالمدج) تصبح باطلة لما كانت تحتشد النفوس بعشرات الألوف في الشوارع وهو يعزف على قيثارة البلاغة والبيان ذات العشرة آلاف وتر ، وكل ما نطق به «سبرجون» للألوف يصبح باطلا «وهوايتفيلد» وهو يذرع القارة ويعبر المحيط عدة مرات كارزا في البر وفي البحر تصبح كرازته باطلة ، « ويوناثان ادواردز» وهو يوقد جمرات الانتعاش هنا وهناك تصبح جهوده باطلة . و «مودي» يمسك بيمناه قارة وبيسراه أخرى ويدفعهما نحو الله تصبح كرازته باطلة ،« ووسلي » يحمل نداءه على أجنحة اللهيب في كل أجزاء وطنه تصبح أعماله باطلة ، وكل ما نادى به لعمال المناجم في «نورثمبرليد» ولطلبة أكسفورد والفلاحين والمساكين في «أيرلندا» تصبح كلها باطلة... ان لم يكن المسيح قد قام..

(تروبت) فتح ينابيع التوبة في كل عين حينما كان ينادي بالانجيل بصوته الجذاب، و «كارول» الطاحونة اللاهوتية سحق المكابرين والمجد فين بحجته الدامغة . و«ديمنت اللطيف كالندى على الأزهار قد كرز بسلطان . و«جوزيف باركر» كان يعظ حتى يخيل للناس أن العالم حولهم قد تغير . و «روبرت هل» في حماسة كان يجعل الناس يهمون

من مقاعدهم تحت تأثير دعوته . و«كريسماس ايفانز «هز البلد كما لو هبت عاصفة عاتية . و «وليم كاري» كان قلمه ولسانه نبراسا يشع على دروب الظلمة فاتحا طرقات لا حصر لها الى الحكمة . و«أدونيرام جدسون» كان يكرز فيحول البراري الى جنات وفراديس مقتلعا الأشواك وغارسا أرزات الله . وكم من جماهير كانت تصغي الى الآخرين - بخلاف من ذكرنا - وكانت لهم السنة نار وقلوب من نار ، كما يصغي العبيد الى صك الحرية أو كما يصغى الجنود الى نداء البوق . وان لم يكن المسيح قد قام فباطل كرازة «بيتشر» و «برورداس «وكل الكرازة التي كانت تجعل الشيوخ يركعون أمام عرش النعمة كتفا إلى كتف مع الأطفال ، وكانت أيام السماء تأتي على الأرض فأشرق مجد الله على أحياء كان يتمشي فيها الفجور والخطية والفساد سافرين . وكان الناس يأتون بدموع التوبة مقرين بخطاياهم معترفين أنهم سيردون كل المظالم ، ورَمَم الناس مذابح الصلاة العائلية المتهدمة .وتصور الخيبة اذا قيل لك أن ابنك قد عوفي من المرض او نجا من الغرق ثم جاء الخبر أن هذا لم يكن صحيحا وأنه مات .

(2) وباطل أيضا ايمانكم :

لنتأمل قليلا في هذا الفرض الثاني ان لم يكن المسيح قد قام فباطل أيضا إيمانكم . الإيمان يكون كفقاقيع وكزبد على وجه الماء. سلاسل مرساة الإيمان انكسرت ، وناره خمدت حتى استحالت رمادا ، وغدا رجاء الإيمان يأسا ، وأصبحت زهوره يكسوها الصقيع والثلج . ولن يكتب الرسول بولس ؟ إلى شرذمة صغيرة من المؤمنين . وان كانت تقطن هذه الشرذمة في كورنثوس . وأي بلد كانت كورنثوس هذه ؟ هي مدينة خليعة ، جامحة ، شريرة، جوفاء ، مادية - مرجل يغلي بأنواع الخطايا . وأي شيء كان عليهم أن يحاربوه في هذه المدينة الأثيمة ؟ أضاليل واستباحة وتشويشا، و سفسطة وابتذالا ، ونجاسة ، وفسادا متحصنا في أسوار من الكذب الأبيض ، والعالم والجسد والشيطان . ومن أي شيء انفصل هؤلاء المؤمنون ؟ من الغرور ، من جذور الشر المتأصلة في الأعماق، وانضووا تحت علم المسيح ، فصاروا بهذا غرباء في أوطانهم ، أجانب في بلدهم ، سياحا في مملكتهم ، واختباراتهم وبيئتهم جعلت منهم نباتات استوائية في مناطق قطبية . أطاعوا المسيح فكان كمرفأ القوا عليه مراسي نفوسهم . وبالايمان جالوا في كورنثوس بهدوء شامل فرحين ، وقابلوا كل شيء بسرور مؤدين رسالتهم بشجاعة الأبطال . فان لم يكن المسيح قد قام فان إيمانهم هذا يكون متأصلاً في خديعة ، وان لم يكن المسيح قد قام فان بيت ايمانهم يكون مؤسساً على خرافة ، ولا يمت إلى الحقائق الأبدية بأية صلة . والآن - طبق هذا على نفسك , أن لم يكن المسيح قد قام ، فايمانك لا يعدو أن يكون كابوسا ثقيلا يصوره فكر مضطرب ، ودقات مخيفة لقلب خيم عليه القنوط ، وشهادتك تكون كثرثرة رجل مختل . ان لم يكن المسيح قد قام فانك تمشي على غير هدى ضاربا في بيداء ليل بهيم بلا إله يقودك في الظلام ، وبلا اله يعينك في الأخطار ، ولا عصا أو عكازا يعزيك ، وبالتالي تكون الحقائق الكتابية الثابتة حبرا على ورق ، ومن ورد ذكرهم في

أصحاح الإيمان في العبرانيين يكونون قد جاهدوا عبثا وأضاعوا حياتهم في قضية خاسرة، وكذا الشهداء قدموا دمهم رخيصا دون جدوى .

(3) وان لم يكن المسيح قد قام فنوجد نحن أيضا شهود زور لله :

انه لم يقل « شهودا أخطأوا في شهادتهم » ، بل شهود زور . فلو كان المسيح لم يقم فعلا لكان هذا الأمر يحز في نفس بولس المعتز بالشرف والصدق ، المحب للحق والمدافع عنه ، الذي خسر كل ما كان يملك من أجل المسيح ، وتعرى وجاع وعطش وقاسي أنواع الألم ... وفي النهاية يشهد أن المسيح قام . أن هذا أمر خطير حقا ، وهو كثير على رجل كبولس وأى فائدة ينالها جزاء كذب كهذا ؟ وهل سمعنا أن كذابين وسارقي جثث الموتى و كاسرى قبور كانوا شهداء ومبشرين ومعلمين ؟ وان لم يكن المسيح قد قام واخبروا بقيامته فأي ثمرة عادت عليهم من كذب كهذا ؟

بالعكس هذه الشهادة كلفتهم ثمنا باهظا فقد فقدوا أملاكهم ومراكزهم ، وصلبوا مطامعهم ، وتعرضوا للهزء والسخرية ، وتتبتع معي ماذا كانت تعنى هذه الشهادة لبولس ؟ في دمشق خاطر بحياته وفي لسترة رجم ، وفي فيلبي جلد ، وفي تسالونيكي هاج عليه الشعب و الغوغاء، وفي بيرية صوبوا اليه سهام العداوة ، وفي أثينا أهين ، وفي كورنثوس جدفوا عليه ، وفي أفسس صبوا عليه غضبهم .. وكانت حياته سلسلة مخاطر اللصوص والغرق والأرق والجوع والبرد ، هل يقابل كل ذلك شهادة كاذبة ؟!!

(4) وان لم يكن المسيح قد قام فانتم بعد فى خطاياكم :

ما أشقانا اذن نحن البائسين ، فاننا عندئذ نحلم بينابيع صافية متدفقة وعند التيقظ نجد أنفسنا في ظمأ لا يحتمل ، ثقيلي الأحمال . نحلم بالراحة وعند اليقظة نجد اننا نلهث تحت وطأة احمالنا . كنا نعتقد أننا أتينا إلى المسيح لنوال الحرية والفرح والنور ، ولم يكن ذلك الا حلما لأننا ما زلنا نرزح تحت نير العبودية القاسية والحزن والليل. كنا نؤمن أن غنى المسيح وحياته سوف يغنينا ويشفي أمراضنا ، ولم يكن ذلك الا أكذوبة لأننا مازلنا في فقرنا ومرضنا.

و ان لم يكن المسيح قد قام فنحن فرائس يرثي لحالها لأكبر ضلالة، كل آثامنا كذئاب متعطشة للدم تعوي حولنا فتسلبنا فرحنا بل تنقض علينا انقضاض النمور الشرسة ناشبة انيابها الحادة فتمزق أجسادنا ، بل تظل خطايانا معترضة سبيلنا كحيات تقطع علينا طريق السلام ، بل تبقى جرائرنا كسم الأصلال منقوعا في كأس من الخمر .« ليترك الشرير طريقه ورجل الاثم افكاره وليتب إلى الرب فيرحمه والى الهنا لأنه يكثر الغفران » (اش ٧: ٥٠)، يا له من كذب ـ ان لم يكن المسيح قد قام ! « كل ما يعطيني الآب فالي يقبل ومن يقبل الى لا اخرجه خارجا » (يو ٣٧: 1)، يا له من كذب ان لم يكن المسيح قد قام ! واذا لم تبعد عنا خطايانا كبعد الشرق عن المغرب يا له من كذب ان لم يكن المسيح قد قام ، واذا لم تغفر خطايانا فما اشقانا ! ان رجلا لصقت بجسمه كل أنواع الأمراض والعلل لا يحس بنصف الشقاء الذي يحس به رجل لصقت به الخطية .

قرات أن رجلا غاص في مجاري القاذورات وكانت الفئران تعضه في وجهه وهو غارق في المياه . وقرأت عن أناس كانوا يشدونهم بوثق حتى تنشق أجسادهم شطرين . و قرات عن آخرين كانوا يتعفنون في سجون رائحتها كريهة . وقرأت عن أناس في الصحاري تورمت السنتهم في أفواههم ومن شدة العطش حميت كنار الأتون . ولكن ما هذا جميعه اذا قيس بعذاب النفس المتعبة بالخطايا . واذا أردنا أن نوضح شقاء الاثم فاننا نحتاج ان يكون في أصواتنا تنهدات القلب المتوجع، وصياح المجانين ، وفحيح الأفاعي ، وجنون المستهترين ، وحنق العواصف ، وحسرة التخريب . عذاب مقيم لا تعقبه راحة . شمس محرقة لا ظلال تعصم من حرارتها . وعطش موهن لا ماء يبرد لهيبه. وعناء وشقاء لا راحة وراءهما . وهذا وصف ضعيف لصورة الخطية .

(5) اذن الذين رقدوا فى المسيح ايضا هلكوا:

الـــــى انتهاء ظلمـــــة الأجفان
الى اللقا في حضرة الرحمان

الى بلوج الصبح في الأوطان
نســـــــتودع الراقد
بالايمـــــــــان

فأولئك الأعزاء المفديون بدم المسيح كانوا يظنون أنهم يرقدون لحيظة ، ولكنهم وقعوا في خراب . وكانوا يظنون انهم ذاهبون إلى الميناء الأمين ، وهكذا كنا نظن ونحن نودعهم بالنظرات الأخيرة ، ولكن سفينتهم تحطمت على الصخور . وكانوا يظنون انهم راحلون من ظلام القبر ورهبته إلى نور الوطن السماوي وتعزيته ، وهكذا نحن الذين كنا نسمع كلماتهم الأخيرة ، فان لم يكن المسيح قد قام فهم راسفون في قيود العبودية لأنهم كانوا مغرورين ، لأنه لما اخذهم الموج لم يجدوا مستقراً لأرجلهم ، ولما دخلوا الوادي لم يجدوا عصا أو عكازا لتعزيتهم . والساعة التي دقت دقات رحيلهم كانت قرعات الفزع لا أجراس السرور ، فقد ذهبوا من ظلام الى أكثف - هالكين.

وكل المفديين الذين تقدموا إلى الأبدية فرقاً فرقاً الوفاً وربوات الوف كلهم هلكوا. لقد علقوا أعوادهم على الصفصاف وساروا الخطوات ثقيلة نحو السبي الأبدي. ولا هتاف من افواه الأسرى الذي تحطمت اغلالهم يأتي مع نسيم الصباح العليل البليل، ولا ابواب لؤلؤية تزدحم بالأبرار الصاعدين ، فالحلقات العائلية انكسرت بلا جبر ، والمصابيح انطفأت، والرخام القائم على المقابر لا تعود تحركه قوة قيامة ، والمقابر يخيم عليها الصمت الأبدي ـ ان لم يكن المسيح قد قام ، فلا تلمع على حواشي اللحد أشعة الشمس الذهبية فيما بعد ، بل تنسدل هناك ظلمة لا تقشعها مصابيح الأرض - أن لم يكن المسيح قد قام، ولا فاسد نلبس عدم فساد ، أو طبعا يلبس روحانيا، أو جسما يزرع في هوان فيقام في مجله ، ولا موتا يبتلع الى غلبة ـ أن لم يكن المسيح قد قام وأنتم يا من تنوحون على أعزاء أختفت طلعتهم - فماذا أقول

الكم ؟ إن لم يكن المسيح قد قام فعبثا تعللون الأمل أنكم يوما ما استلاقونهم في المدينة الذهبية ، فيلا مسيح قائم ، القبر هو أقل من أي قبر ، والصليب لا يزيد عن صليبه شهيد ، والموت ان هو الا ملك الأهوال ، والنهاية تسخر بآمالنا كممثل هزلي ، والموت يمسي سجانا مهمته حراستنا في رقدة حديدية طيلة الليل الأبدي.

(6) « ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات »

لقد ظنوا انه مات وقضى الأمر ، والظلام خيم على أفكارهم : فلا نجم رجاء يتألق على قلوبهم المكسورة ، ولا بلسان يشفي أرواحهم الممزقة، ولكنه قام ناقضا أوجاع الموت ، فمسيحنا هو مسيح حي يرتبط بطولة الأجداد الى شجاعة الأحفاد . حي الى الابدية اللانهائية حى ليمنح أتباعه ينابيع قوته . حي ليقابل كل تحد. حي قادر يريد أن يعين. حي يحول أسوار الحياة والموت الى أبواب المجد حى ليغير البراري البشرية القاحلة الى جنات تترقرق فيها الأنهار الفضية، وتزهر فيها الورود والرياحين الزكية ، فتتدفق منا البركة على الآخرين.

(7) « في المسيح سيحيا الجميع »

نبض الخلود سيرعش القبر والموتى يخرجون. ان الله سيسبر أغوار العمق عن أحبائه ، ويفتش القبر ، ويدعو الجبال أن تسلم ذويه ، فنقوم في غلبة باهرة بعيون كاملة وأيدي كاملة و جسد كامل ونطرح جانبا كل ضعف ، وأولئك الذين فقدوا برهم ستكون لهم عيون اضاءها المجد. ففي جنوده القائمين من الأموات لن تجد أعور أو أعرج او اعسر او اقطع او مفلو جا او اخرس او اصم. ان قيامة أجسادنا هي جزء من عمل الفداء. وكما أن قيامة المسيح كانت لازمة لإتمام عمل الغداء هكذا قيامتنا ضرورية . فكرازتنا ليست باطلة ، ولا ايماننا باطلا . وكمؤمنين نحن لسنا في خطايانا لأننا أصبحنا أولاد النعمة الذين تحرروا . والذين رقدوا في المسيح لم يهلكوا ولكنهم فتحوا عيونهم في حضرة المخلص . افلا تهنيء أنفسنا بهذا الامتياز ؟ أقول من أعماق قلبي : افرحوا لأن افقنا يتلمع بأنوار الرجاء الأبدي .

لنستمع الى ما يفيض به قلب الرسول بطرس من ترنيمة حمد ترددها القرون والأجيال ونضم أصواتنا معه قائلين :

« مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات ، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم أنتم الذين بقوة الله محروسون ، بايمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير »

منقولة من كتاب اشهر المواعظ ومعدلة وتم وضع صورة الكاتب (القس روبرت جرين لي)

تعريب الراحل واصف عبد الملك

ارجوا أن تكون سبب بركة وقوة للآخرين

(صفوت زكي سمعان)